أدب العروبة فى الميزان

للأستاذ على متولى صـــلاح

— ٣ —

من كتاب هذا الكتاب الأستاذ كامل محمد عجلان ، وأشهد أن لهذا الأستاذ قلماً ، وأن له كتابة تنبىء عن مستقبل وتبشر بآمال ، وأحسب أن مرد ذلك لا إلى أنه يتولى تدريس علوم البلاغة فى الأزهر ، ولكن لأنه أديب مطبوع له قلب وفيه خيال زادتهما الدراسة عمقاً وأصالة وصقلا ، أنظر إلى قوله عن الربيع إنه « أنفاس الجنة وريش حمائمها ، ونثار اللآلئ ، وغراس القدرة ، تطله العناية لتمسح بمراياه لغوب الحياة المكافحة ، وهو خطوط رفعها الله معالم ، وصوى تهتف بالقلوب وتنزع عنها لباس الجمود فتسيل إيماناً بالجمال الذى يرقص الإنسان على هدهدات الظلال وميسات الغصون وتغاريد الطيور وخرير الماء . »

هذا كلام له قيمة وله وزن عندما توزن الأقوال ، وهذا كلام أديب أصيل فى الأدب يعرف كيف يصوغ الألفاظ وكيف يصطفيها . وفى الكتاب أربع كلمات أخرى عن الربيع لأدباء آخرين لا توزن جميعها بهذه الكلمة إذا وضعت معها فى ميزان!

وانظر إليه وهو يخاطب القمر فيقول له « ما أنت يا قمر ؟ أنت راهب الأحلام وسواق الأمانى تلقيها فى قلوب الحيارى وتشعشع بها عواطف العاشقين ، وتداعب بها الساهدين فتكون برداً على أفئدتهم الحواء ، وسميراً إذا طال أمد الحبيب ، وشدّت الأشالع بالأنفاس المبهورة والزفرات الأسيفة .

يا ابن السماء : إذا غابت عنا شموس الفتنة أرسالتك صفحة تنشر سحرهن وتفتن العابد وتسل عليه من سيوف الأحلام ما يبعث اليقظة الثائرة تهز القلب وتراود الواهى بين الحنايا فينقاد ويعود إلى محاريب الجمال وملاعب الصبوات » . أين من هذا الكلام الجميل كلام صاحب له فى القمر أيضاً يقول فيه « . . هات الناى فصلاتنا اليوم ألحان ، وشرابنا رحيق من كوثر الإيمان طوبى للقمر إنه آية فى الفرقان ، ويمين أقسم به الديان تسبح فى الأكوان ، تنادى هيا أيها الإنسان ، أعبد الله لا تكن قرين الشيطان ، فحياة القلوب فى عبادة الرحمن . » هذا كلام مرصوص كالبنيان ، ليس وراءه قلب ولا وجدان ، ولكنه السجع الذى شغف به وعبده الكثير من أدباء هذا الزمان !!

والشعراء فى كتاب « أدب العروبة » هم الكثرة الغالبة فيه حتى كان يمكن أن يسمى هذا الكتاب « شعر العروبة » ووكيل الجماعة الأستاذ محمد عبد المنعم إبراهيم له فى الكتاب سبع قصائد لكل مهرجان قصيدة ! ولقد قرأتها جميعاً فى أناة وتمهل ، وقرأتها أكثر من مرة ، وفتشت جاهداً على أجد فيها شعراً جميلا يستحق النشر والإعلان بله التنوية والإشادة فما وجدت والله من ذلك شيئاً ! فشعره — ولا حياء فى الحق — ليس فيه سمة واحدة من سمات الشعر إلا أنه موزون مقفى ! أستغفر الله فقد انحرف عن استقامة الوزن فى بعض شعره كقوله فى قصيدة الهجرة : —

هيا ارعى وامتحى الظمأى حلاوتها
هاتى لنا الدنيا ... هاتى لنا الدينا

فالشطر الثانى غير مستقيم الوزن ، وكقوله فى قصيدة مهرجان الفيوم :

بشراً عبقريا بأنى أغنى فأشيع النبوغ فى الأكوان !

فالشطر الأول غير مستقيم الوزن ، وكقوله فى قصيدة مهرجان المنصورة :

الشعر جند لا سبيل لصده لا يخشى ناراً أو يخاف أسوداً

فالشطر الثانى غير مستقيم الوزن كذلك .

وشعر الأستاذ فوق بعده عن الرنين والإيقاع والموسيقى ، وفوق أنه لا يعنى مطلقاً باختيار ألفاظه بل يسوقها سوقاً من أى واد يتفق له ساعة ينظمها فهو لا يحفل بالمعانى ولا يقف عندها ويتأنى لها حتى تخرج للناس شيئاً يمكن أن يقال عنه شعر ، فهو يقول عن القمر مثلا إنه :

عطوف حدبه وسع البرايا ويشفى هديه الجفن القريحا !
ويسهر دائباً طول الليالى ويكبح سحره البحر الجموحا !

فهل يشفى القمر الجفن القريح ؟ وهل يكبح القمر البحر الجموح ؟ أم هو كلام موزون وكفى ؟! ويقول عنه أيضاً إنه : —

صموت لا تزعزعه العوادى وكان بضمته معنى فصيحا « كذا »
ويغضى عن عيوب الناس طراً ويفسح للمحاسن كى تفوحا

فما للصمت وللموادى ؟ أو ما للقمر وللموادى ؟ وما إغضاء القمر عن عيوب الناس طراً ؟ هذا خلط من القول يجب أن يوارى.

ويقول فى مهرجان الهجرة عن صاحبها عليه السلام :

مواكب الخير فى دنيا وآخرة كانت لدعوته العليا ميادينا
حتام نشكو الضنا والسعد فى يدنا يكفى جميع الورى طراً ويكفينا؟

فإن كلمة « السعد فى يدنا » هذه أقرب إلى كلام العامة من الناس ، وهل كانت مواكب الخير فى الدنيا والآخرة يوماً ميداناً لدعوة ؟

ويقول فى مهرجان الفيوم عن مصر :

قد بنينا الحياة علماً ومعنى زكاة الأرواح والأبدان

إلى أن يقول عن مدينة الفيوم :

هاهنا السحر ، هاهنا الشعر والآ داب والدين والمنى والأمانى !

فأى حشد من الكلام هذا ؟ رأى شعر فيه ؟

ويقول فى مهرجان « الفاروق » : —

بالعـــدل والخلق والإيمان منزله
قد جاوز النجم والأقمار والشهبا « كذا »

قد كنت أعلم أن الشمس عالية مهما الخيال ارتقى للشمس ما اقتربا
جمعت كل معانى المجد قاطبة العدل والملك والأخلاق والحسبا

فهذا كلام عام لا سمة فيه ولا معنى له إلى أنه ركيك العبارة فاسد التركيب .

ويقول مخاطباً الناس منبهاً لهم إلى ارتياد الجمال :

خذوا الجمال إلى الكمال وسيلة وتغيثوه بأقدس النظرات
ومُذ اطمأنت للجمال نفوسكم ووصلتم الحسنات بالحسنات
ترثون كنز الأنبياء فضائلا وتبادلون الطهر خير صلات !

أنا أرجو القراء الكرام أن يدلونى على معانى هذه الأبيات ومدى ارتباط بعضها ببعض فقد عييت بفهمها وإدراك ما يقصد الشاعر إليه فيها . ولا أسرف أكثر من ذلك فى سوق النماذج من شعر الأستاذ فكل شعره من هذا الطراز هلهلة وتفككا واضطراباً ، وسيجد القارىء مصداق كلامى إن هو اعتمد على الله واحتسب عنده تعالى ساعة يقرأ فيها قصائد الأستاذ فى الكتاب! ولست أحصى كذلك أخطاءه اللغوية والنحوية فيبدو لى أن الأستاذ لا يأبه كثيراً لذلك ويجد الأخطاء اللغوية والنحوية من الهنات الهينات التى لا يقام لها وزن كبير ! وهل يخل بالأخطاء النحوية واللغوية من يقول مخاطباً القمر « وأرجع مجدنا الضخم الفسيحا » بهمزة القطع مع أنه قرأ قول الله تعالى « فإن رجعك الله إلى طائفة منهم » وقوله تعالى « قال رب ارجعون » بهمزة الوصل ؟ ثم هو يعكس الأمر حسب هواه أو حسب هوى الوزن الشعرى فيقول « هيا أترعى وامنحى الظمأى حلاوتها » بهمزة الوصل والصواب أن يقول « أترعى » بهمزة القطع فيركب السيئتين معاً ؟

وهل يعنى العناية الواجبة بلغته من يقول « لكنه وهب الحياة خلوداً » والله تعالى يقول « رب هب لى من لدنك ولياً » ويقول « ووهبنا له » أومن يقول مثل عبارته عن القمر « ولكن يضرب المثل النصوحا » أو عبارته عن القمر أيضاً إنه « يفسح للمحاسن كى تفوحا » ؟ أو يقول عنه أيضاً : —

ولو شاء استكان إلى قعود ولم يسمع لعاوية نبوحا « كذا »

أنا أطلب إلى معالى الرئيس الشاعر الذواقة أن يوارى هذا الكلام ولا يأذن بنشره على الناس ، أو أن يلزم أصحابه التجويد والأناة والمهل إن كان بهم طاقة على ذلك وإلا فليس الشعر هزلا وليس الشعر كلاماً يلقى على الناس دون حساب ودون ضابط فيكون شعراً بإذن الله !

ولو شاء الأستاذ لرأى فى صديقنا الدكتور إبراهيم ناجى من أصالة الشاعرية وسمو الخيال وموسيقى اللفظ ما لو نهج فيه نهجه لكان مثله من الشعراء المجيدين ولكن الله يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور !

وللأستاذ الدكتور إبراهيم ناجى فى الكتاب ثلاث قصائد فقط لا تمدل قصائد الأستاذ محمد عبد المنعم إبراهيم السبع واحدة منها والدكتور ناجى شاعر بالفطرة وشاعر باللفظ وبالمعنى وبالخيال الفسيح البعيد ، وبالموسيقى التى تشيع فى جو قصائده . والقصائد الثلاث التى احتواها كتاب « أدب المروءة » لا تعبر عنه تمام التعبير ولا تدل عليه تمام الدلالة فأنا أعرف له الكثير من الشعر المذهب الرصين السائغ السامى ولكننى لست إلا بصدد الكلام عن كتاب « أدب المروءة » فأنا أعرض نماذج من شعره فيه ليرى القارىء معى ما أرى من جمال الشعر وسمو الخيال ،

فهو يقول عن نفسه فى قصيدة « الربيع » : —

إنى فراش خميلة قد جنّ فى ... عرس الربيع الضاحك المختال
خلق الربيع له جناحىّ نشوة ... وسقاه كأسىّ فرحة وخيال
حسن وقفت على سناه مباليا ... وأنا الذى ما كنت قبل أبالى
غنيته حتى إذا حجب النوى ... أنواره وجبينه المتـــلالى
غنيته فى القلب محتفلاً به ... مترقباً عود الربيع التالى ...

ألا ترى أن ذلك شعر يوشك أن يكون غناء ؟ وأن له جرساً وموسيقى ورنيناً ؟

ويقول فى قصـــيدة الغيوم هذه الأبيات البديعة حقاً يخاطب مصر : —

تالله لو فى الخلد كنت بموضع ... أو فى المجرة مصبحى ومهادى
لرنت لشطيك النواظر من عل ... وهفا إليك من الجنان فؤادى

إلى أن يقول : —

خير الوثائق ما كتبت سطوره ... بدم الضحايا المحض لا بمداد
تعليـــه إملاء القوى محطماً ... بيديك أنت مذلة الأصفاد !

ويقول فى مهرجان « الشرقية » من قصيدة عنوانها « المجد الحىّ » ما يأتى : —

أين الغزاة الألى مروا بنا زمراً ... وأين بالله تيجان ودولات ؟
مروا ومصر على التاريخ باقية ... كصفحة حولها للنور هالات
يد تخط وأخرى غير وانيـة ... لها على الدهر توكيد وإثبات
هذا هو المنطق العالى وأعجبه ... محض من الزور وشته الضلالات
ومسرح فى الليالى لا جديد به ... لكن يسادعليه الذئب والشاة !

أو لرأى فى صديقنا الشاعر المرح الطروب الأستاذ محمد مصطفى حمام مثلا عالياً فى هذا اللون الطريف من الشعر فى عبارة رنانة أخاذة وموسيقى تأخذ بمجامع القلوب ، انظر إليه وهو يقول فى « فلسفة الربيع » هذا الكلام الجميل السهل : —

لى وللناس فى الربيع معانى ... ولنا فى الربيع أحلى الأمانى
فربيع الحياة عمر التصـــابى ... وشـباب الأرواح والأبدان
وربيع « الجيوب » إحراز مال ... وامتلاء بالأصفر الرنان !
وربيع « الموظفين » علاوا ... ت ورزق يأتى بغير أوان !
وربيع الأديب لقيا عروس ... زفها الشعر من عذارى المعانى
كم لهـذا الربيع فلسفة تحـ ... ـلو وكم الربيع من ألوان !

فهو يصدر فى شعره هذا عن طبيعته المرحة الطروب ، وهو الذى لا تفارق الابتسامة ثغره ، ولا النكتة حديثه ! وانظر إليه وهو يقول فى قصيدته « مناجاة القمر » هذا الشعر الجميل : —

يا بدر ... يا سلوة للقلب شافية ... إذا ألح عليه الهم والضجر
ويا رقيباً على العشاق مؤتمناً ... السر عندك مكنون ومدخر
ويا حسيباً جرت أسطار صفحته ... بالخير والشر مما قدم البشر
يامن تموت وتحيا ... ثم لا هرم ... يبدو عليك ولا ضعف ولا كبر
يا من تعيش بأعمار مجـددة ... وكل يوم ترى الأعمار تنحصر
ياقيصراً عرشه الدنيا وما وسعت ... وجنده الأنجم الوضاءة الزهر
يا صورة من جمال الله مشرقة ... والشاعر الحق تسبى لبه الصور !
دعنى أسامرك فى جد وفى هذر ... فى لياليك يحلو الجد والهذر
كم ليلة لحت فيها شاحباً أرقاً ... كأنما شفك التطويف والسهر
أو ضقت بالظلم يغشى الأرض قاطبة
أأنت مثلى طريد الظلم يا قمر ؟

وبعد : فإن كتاباً يضم بين دفتيه أمثال هذين الشاعرين يجوز أن يتخرص عليه المتخرصون ويأفك به الأفاكون ، ويقولون طبعوه فى مطبعة حكومية ؟ ألا ليت المطابع الحكومية تخرج للناس — على نفقتها لا على نفقة المؤلفين — كل يوم كتاباً هكذا فذلك أجدى على الناس وعلى الدولة مما تخرج من إحصاءات وأرقام ومناشير لا غناء فيها ولا طائل وراءها ...

على متولى صلوح

إعـــلان

تنوى وزارة الخارجية عقد مسابقة لاختيار مرشحين من ذوى المؤهلات الجامعية لوظائف ملحقين من الدرجة الثانية فى السلك الدبلوماسى وسكرتيرين فى السلك القنصلى فى أكتوبر القادم .

وسيمتحن مقدمو الطلبات تحريريا وشفويا — والشروط التفصيلية بالوزارة .

فعلى راغبى الالتحاق بهذه الوظائف التقدم بطلباتهم للوزارة على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح . ٧٨٦٣